الى شيء آخر، ويخذلنا... العائلة، هنا، هي تلك العجنة المضغوطة واللصيقة التي تحدّد معايير، وتولجها الى داخل فمك براحة يد اكبر من الفم. من هنا يجب ان تنبثق الافكار والالتزامات والتسلّل الى السعادة؛ من هنا يفترض ان يحدد معنى وقيمة لكل احساس وموقف وفعل. هكذا قبل ان يقوم ' ابن اسرائيل العاملة ' بأي قيمة عليه ان ينتمي؛ واذا لم ينتم يحدّد الائتلاف العائلي انه ' سقْط ضعيف ' . النتيجة هي ان غولدمان ويسرائيل وسيزار هم سقط اتجاه؛ اذ انهم لا يستطيعون الصمود في هذا الضغط العائلي وهم اشبعوا انفسهم منه كل صباح ليهربوا، وهم تخلّفوا عن الاتجاه، اذ خنقوهم كثيراً، الى درجة انهم لم يستطيعوا الهرب منه، ولم يوجد امل لخلق شيء مغاير»(١٦).

العائلة، هنا، هي العلاقات الصادقة بين البشر. ففي الرواية ابناء العائلات غرباء، مع انهم تحدّروا من عائلة واحدة، وكل عائلة معرّضة للخراب. ومعنى العائلة، هنا، هو الواجبات والمعايير والالتزامات. من هنا، نلاحظ ان ما يمر من الآباء الى الابناء ليس الّا ظلاً باهتاً لعلاقات عائلية ـ معايير ـ غير حقيقية وغير ملائمة في آن. بناءً على ذلك، نرى ان الابناء الثلاثة لم يستطيعوا اقامة، او تأسيس، عائلة بالمعنى الحقيقي. فهم دائمو الهرب من اقامة علاقات عائلية، لئلا تكون علاقات زائفة وباهتة، كعلاقات آبائهم الضيقة والدوغمائية؛ وفي النهاية فشلوا في خلق، او تحقيق، العائلة، او المعيار الصحيح، او الناجح. فالاطار ـ العائلة او الافكار والمثاليات ـ الذي توارثوه عن آبائهم، او كادوا يتوارثونه كليّة ـ شوّش عليهم، ولم يجدوا بديلاً حقيقياً ومحسوساً وغير زائف. فالواحد منهم يرفض الاختلاف والتغاير في الغير واراده كما صورّه في رأسه، الى درجة ان تحوّلت العلاقة بين الرجل والمرأة ـ لدى جيل الابناء ـ الى علاقة امتلاك. فالمرأة، بالنسبة الى احد الابناء، هي كائن يجب ان يعرف عنه كل شيء (بضمن ذلك الرجل الاول الذي عرفته في حياتها)، ويجب ان تلغي كل ماضيها حتى تعيش معه. لذا، رأينا ان امكان اقامة عائلة امر صعب جداً، والعلاقات السائدة هي الهشّة، او التي فيها الكثير من الالم، او الاغتراب، بين الرجل والمرأة.

أمّا جيل الآباء، فعاش ازمته الخاصة: كيف يواصل تحقيق مبادئه ومثالياته وعقيدته في عالم متغيّر لا يتلاءم والطرح الذي حملوه في جوّانيتهم؟ بالنسبة اليهم، المبدأ هو الحل وليس الحل الذي قد، او يجب ان، ينبع من الواقع. وبذلك، تحولوا الى دوغمائيين. والحل كان كنوع من الكذب الصادق؛ والاسهل لتفكيرهم ومعتقداتهم انه «لا يوجد فلسطينيون». و«نهاية، المبدأ هو قوة. وقوة من هذا النوع هي عنف»(١٧). ولكي يتحقق ويسود ذلك المبدأ الذي يحمله الآباء يجب اقامة اطار هرموني يغتصب التفاصيل الواقعية، ليلغي الفروقات بينها؛ وهنا تحوّل المبدأ الى قوة عنيفة. واولئك الاشخاص (الابناء) الذين رأوا التفاصيل الواقعية وعاشوها. وحاولوا زحزحة بعض المعايير ما هم الّا مجموعة من الخارجين على المبدأ وقوانينه. «هنا افترق الابناء عن الآباء. ' المبادىء ' هي التي لا يقدر ولا يريد الابناء ان يرثوها عن الآباء. الهوة التي تفصل بين الواقع الذي يعيشونه وبين ' المبادىء ' كبير ومؤلم جداً، الى درجة تخلوا عنها»(١٨).

مع ان الابناء الثلاثة بدوا وكأنهم اختاروا حياتهم، الّا انهم كانوا، في الحقيقة، غير قادرين على الاختيار، خوفاً من اختيارات آبائهم التي ارعبتهم، وكبّلتهم، ونفّرتهم. ورأيناهم، طيلة الوقت، هاربين من ساعة الحسم ويتلقّون ضربات بسبب اختيارات الآخرين، او «لأن شيئاً تداعى بجانبهم، والكارثة غيّرت الصورة»(١٩).

اذن، ما هو الحل؟ الحل هو التواجد والبقاء في الوسط. لا هنا، ولا هناك. الوسط هو الاسلم